

لم يكن العبور معجزة .. ولم يكن النصر مصادفة ولكنه كان ذروة العمل الوطني

لم يكن العبور معجزة ولم يكن النصر مصادفة ، لقد كانوا ثمرة القرار الذي تجاوز كل التقديرات المشائمة واندفاع الالوف من شباب الفلاحين والعمال والثقفيين الى الفداء ، ووقفة مصر الخالدة كلها في هبة تلقائية خلف قواتها المسلحة وان ما صنعه المقاتلون في مواجهة العدو يستطيع أبناء هذا الشعب أن يصنعوه في كل مواقع العمل الوطني . . . قهرا للتخلف وتأكيدا على أن مصر أكتوبر هي مصر المستقبل

هناك أيام في حياة الام لا تفاس بوحدات الزمن ، وانما تقدر بوزن ما تلقيه من آفاق وما تبيحه من آمال ، وما تلهي من أفكار ، وما تلهي من عزائم . وهي بطبيعتها أيام نادرة لا تعرض للامة الواحدة الا مرة كل عشرات من السنين . والام الجديدة بالتقدم والازدهار هي تلك التي تعرف كيف تمسك بالفرصة التي لا تكرر لكي تشق مالافتتح أمامها من طرق ، وتحيل بعدها ما يلوح من أمل إلى واقع حي ، وتجعل من مجدها صفحات مشرقة من تاريخ البشرية ولا تترك ومضة خاطفة ليس لها من غد .

لقد أراد أعداء مصر ، اعداء التحرر والقدم ، بعدها ١٩٦٧ ابعاد مصر عن مسيرة التقدم ، وعزلها عن الامة العربية مستهدفين أن تنزوى على نفسها نظيرتها مشكلات داخلية حقيقة او مصطنعة فتنسى ماضيها او تبتكر لرسالتها ، وهي التي تهيا لها من الواقع الجفراهي والطاقات البشرية والتراث الحضاري والروابط القومية ما يؤهلها لتكون في الطليعة بين شعوب العالم المناضلة من أجل الحرية والتقدم والسلام والرخاء .

وكانت حرب اكتوبر الخالدة هي رديع مصر العظيم من خلال امته العربية المجيدة وبها . وكان ردًا على مستوى مصر ، تجاوزت آثاره قضيتنا المباشرة للتغير اوضاع المنطقة كلها وتنعكس على الوضع العالمي ذاتها .

العالم بعد أكتوبر

حق ان العالم بعد اكتوبر ١٩٧٢ ، كما قلت في مناسبة سابقة، غير العالم قبله . كانت اسرائيل ١٩٦٧ هي القسوة المتكمة في المنطقة . وكان الفرض السادس أن العرب لا يمكنون تغيير هذا الوضع ، وكانت السياسات العالمية ترسم وفقاً لهذا الفهم . ثم فوجئ العالم كله بقواتها المسلحة .

تعبر القناة

ونظم خط بارليف ونخوض أضخم معارك الدبابات في التاريخ في تلاحم كامل مع شقيقها القوات المسلحة السورية وتسكيد العدو أدح الخسائر . . .

والعرب تتوحد كلمتهم دفاعاً عن حقهم المتروك . . .

وكل القوى المحبة للسلام والعدل تلتف حول القضية العربية .

تغيرت الصورة رأساً على عقب ، وأصبح من المعين على كل الاطراف أن تعيد النظر في سياستها وفقاً للأوضاع الجديدة التي صنعنها دماء الشهداء وتضحيات الإبطال وما سبق ذلك . وواكب وتأله من تحطيط عسكري وعمل سبابي ممتاز .

ان شعبنا العظيم قد خاض تجربة الهزيمة ، وعاش سنوات المراارة والتمزق وعاش أيضاً تجربة صنع النصر . . .

وما كان لهذا كله أن يحدث دون أن تستمد منه طاقات جبارة لبناء مستقبل سعيد .

لقد كانت سنوات الهزيمة فسحة لامتحان قاس للضمير .. ناقشتنا فيها أنفسنا .. ووضعنا كل جوانب العمل الوطني تحت مجهر النقد ، واستندنا بنا التمرق حتى ظهرت في الأفق بعض الاتجاهات الانهزامية تشكك في كل شيء ، وتهون من قدرات هذا الشعب العظيم ..

مصر خلف قواتها

واسمحوا لي أن أذكركم في هذا المقام أنتي قلت ونحن في ليل الهزيمة في خطابي بمناسبة عيد أول مايو ١٩٧١ :

ان علينا أن يجعل من الهزيمة نقطة انطلاق لبناء دولة جديدة .. ولم يكن قوله هذا ضربا من التعطيل بالامال .. ولكنـه كان مبنـيا على الإيمـانـ العـقـيقـ بالـشـعـبـ وـمـثـلـتـهـ وـثـانـيـهـ وـقـدـرـاتـهـ الـخـلـاقـةـ .. وـعـلـىـ تـدـيرـ مـوـضـوعـيـ لـتـجـربـتـناـ التـورـيـةـ اـقـتـعـنـيـ أـنـهـ يـتـصـحـيـحـ مـسـارـ الثـورـةـ .. وـتـصـفـيـةـ سـلـبـيـاتـ التـجـربـةـ .. بـمـكـنـ أـنـبـئـنـيـ بـنـاءـ شـامـخـاـ ..

وبنفس هذه الثقة ، وضـدـ كـلـ دـاعـوـيـ الـهـزـيمـةـ ، وـبـتـجـاـزوـ لـكـلـ التـقـديـراتـ المـتـشـائـمةـ ، وـبـاحـسـاسـ عـبـقـيـ بـمـسـتوـلـيـةـ أـمـامـ جـمـاهـيرـ الشـعـبـ الـقـيـاديـ

الـنـفـتـ منـ حـولـيـ ، وـبـالـاشـتـراكـ معـ أـخـرـ رـئـيسـ سـورـيـاـ ، اـنـخـذـتـ قـرـارـىـ بـاـنـهـاـمـ حـالـةـ الـلـاـسـلـمـ وـالـلـاحـرـبـ ، وـاـصـدـرـتـ أـوـامـرـ لـلـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـمـصـرـيـةـ الـقـيـاديـةـ كـانـتـ تـتـلـهـ لـتـقـيـيـهاـ ، فـانـدـفـعـ الـأـلـوـفـ مـنـ شـبـابـ الـفـلـاحـينـ وـالـعـمـالـ وـالـمـقـدـيـنـ يـمـلاـ الـإـيمـانـ قـلـوبـهـمـ وـيـحـكـمـ الـفـداءـ حـرـكـتـهـ ..

وـكـانـ الـقـتـالـ الـجـيدـ الـذـيـ اـبـتـ للـعـالـمـ كـلـهـ قـدـرةـ الـقـيـادـةـ عـلـىـ التـخطـيطـ الـمـتـازـ وـالـعـدـادـ الـدـقـيقـ ، وـقـدـرـةـ الـقـاتـلـ الـمـصـرـيـ عـلـىـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـأـسـلـحـةـ الـحـدـيثـةـ وـاسـتـخـدـامـهـ الـاسـتـخـدـامـ الـفـعـالـ جـنـبـاـ الـىـ جـنـبـ مـعـ شـجـاعـتـهـ الـفـارـدـةـ ..

وـفـيـ لـحـفـلـاتـ ، كـانـتـ مـصـرـ كـلـهـ خـلـفـ الـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ ، يـتـبـارـىـ كـلـ إـيـنـائـهـ فـيـ الـبـيـنـ وـالـعـطـاءـ ، فـيـ هـبـةـ تـلـقـائـيـةـ لـمـ تـرـكـ قـرـداـ إـلـاـ وـجـذـبـتـهـ .. فـاجـاـ هـذـاـ الشـعـبـ - الـذـيـ اـشـتـهـرـ بـحـبـهـ لـلـسـيـلـامـ - الـاـصـدـقـاءـ وـالـعـدـاءـ بـقـدـرـتـهـ الـرـائـعـةـ عـلـىـ أـنـيـتـحـولـ فـيـ لـحـفـلـاتـ الـىـ شـعـبـ مـقـاتـلـ ، لـاـ يـتـرـدـدـأـمـاـنـ تـضـحـيـةـ ، وـلـاـ يـجـظـلـ أـمـامـ خـطـرـ ، وـيـقـبـنـىـ كـلـهـ شـعـارـ الـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ : «ـ النـصـرـأـوـ الشـهـادـةـ ..

وـلـذـلـكـهـاـنـهـ مـنـ الـخـطـأـ الـجـسـيـمـ أـنـ نـقـوـفـ عـنـ الـعـبـورـ الـفـلـافـرـ أـنـهـ مـعـجزـةـ ، لـنـ الـمـعـجزـةـ بـطـبـيـعـتـهاـ أـمـرـخـارـقـ يـفـوقـ الـطـاقـاتـ الـعـادـيـةـ لـلـبـشـرـ وـلـاـ يـمـكـنـ تـكـرارـهـ ، اـنـهـ يـجـبـ أـنـ نـنـظـرـ إـلـيـهـ عـلـىـ أـنـهـ تـرـوـةـ لـلـعـلـمـ الـوـطـنـيـ ، عـلـيـنـاـ أـنـ نـعـتـلـ بـرـوـسـهـ ، لـكـيـ فـتـحـهـ نـمـطـاـ تـرـتـفـعـ إـلـىـ مـسـتـوـاهـ كـلـ جـوـانـبـ الـعـلـمـ الـوـطـنـيـ ..

أـنـ أـعـظمـ تـقـدـيرـ لـيـامـ الـقـتـالـ الـمـجـيدـ لـيـسـ التـقـنـيـ بـهـ ، وـأـنـاـ اـسـتـلـهـاـمـ مـعـانـيـهـ لـكـيـ تـحرـزـ فـيـ مـخـتـلـفـ مـجاـلـاتـ الـعـلـمـ الـو~طنـيـ ماـ أـحـرـزـنـاـ مـنـ نـجـاحـ فـيـ الـعـلـمـ الـعـسـكـرـيـ .. لـيـكـنـ شـعـارـنـاـ دـائـمـاـ أـنـهـ مـاـ دـعـنـاـ قـدـاستـعـنـاـ فـيـ سـاحـةـ الـقـتـالـ ، فـانـهـ يـجـبـ أـنـ فـسـطـطـعـ بـنـفـسـ الـمـسـتـوـيـ فـيـ كـلـ مـجـالـ ..

أـنـ الـقـاتـلـينـ هـمـ صـفـوةـ مـنـ أـبـنـاءـ هـذـاـ الشـعـبـ .. وـمـاـ صـنـعـوـهـ فـيـ مـواجهـهـ الـعـبـورـ الـشـرـسـ الـغـادـرـ الـمـدـجـجـ بـالـسـلاحـ يـسـتـطـعـ إـبـنـاءـ هـذـاـ الشـعـبـ أـنـ يـصـنـعـوـهـ فـيـ مـوـافـعـ الـانتـاجـ وـالـخـدـمـاتـ ، لـتـهـرـ التـخـلـفـ وـتـنـخـلـصـ مـنـ الـسـلـبـيـاتـ الـمـوـرـوـتـةـ وـمـؤـكـدـ بـالـإنـجـازـ أـنـ مـصـرـ أـكـتـوـبـرـ هـىـ مـصـرـ الـمـسـتـقـبـلـ ..